الأستراتيجية الأمريكية تجاه

نشرت جريدة "لوموند ديبلوماتيك" دراسة شاملة عن تطور الموقف الامريكي تجاه قضية الصحراء المغربية بقلم الصحفي البريطاني توني هودجيس، تتناول من خلاله المعطيات الاساسية ، الاقتصادية والستراتيجية والسياسية التي تحكمت في هذه التطورات. ونظرا لاهمية ما جاء في الدراسة من معطيات ملموسة، توضح أبعاد وخلفيات السياسة الامبريالية وخططها من أجل التحكم في زمام الامور بالمنطقة للحفاظ على مصالحها الجوهرية، وتؤكد في نفس الوقت أن الطرح السليم هو ذلك المتشبث بالسيادة الوطنية المغربية والمعادى في نفس الوقت لكل القوات الامبريالية والرجعية المحلية.. نقدم لقرائنا ترجمة موجزة لاهم ما جاء في هذه الدراسة .

المصالح الامركية في اسبانيا وتطور الموقف من قضية الصحراء

في سنة ١٩٥٣، تم التوقيع على معاهدة بين اسبانيا والولايات المتحدة، يسمح لهذه الاخيرة ببناء أربع قواعد عسكرية كبرى، بحرية وجوية، باسبانيا، اضفة الى العديد من القواعد الاخرى ذات الحجم الصغير. ويبلغ مجموع تكاليف هذه القواعد: ٤٦٥،٦ مليون دولار. ولقد استعملت احدى هذه القواعد: طوريخون، الموجودة شرق العاصمة مدريد، كأركان عامة للقوة الجوية الامريكية السادسة عشرة. كما أن قاعدة روطا، بمقربة من كاديس، قد استعملت كمحطة لتسع غواصات نووية أمريكية. وبالمقابل، حصلت اسبانيا على مساعدة اقتصادية وعسكرية قدرها الاجمالي أربعة مليار دولار.. وان هذه المصالح الاستراتيجية الاساسية التي تربط اسبانيا بالولايات المتحدة، هي التي جعلت هذه الاخيرة تتجنب أى خلاف مع سياسة فرانكو تجاه قضية الصحراء .

الا أن السياسة الاسبانية نفسها قد أقبلت على التغيّر، خاصة بعد سقوط النظام الديكتاتورى بالبرتغال سنة ١٩٧٤، وحصول كل مستعمراته السابقة على الاستقلال بعد أكثر من عشر سنوات من المعارك الطاحنة بأنغولا والموزامبيق وغينيا بيساوو، الشيء الذى اعتبرته اسبانيا تهديدا ودرسا في نفس الوقت، مما جعلها تعلن في صيف ٧٤، عن عزمها الخضوع لقرارات الامم المتحدة القاضية بتنظيم استفتاء بالمنطقة. وكرد فعل مباشر من طرف الملك الحسن الثاني ـ خاصة بعد اللقاء الذى تم بين الوالي السيد الكاتب العام والمؤسس "للبوليزاريو" ووزير الخارجية الاسباني الشيء الذى كان يوحي بامكانية تسليم الصحراء لحكومة صحراوية ضعيفة تسمح بالحفاظ على المصالح الاسبانية الحيوية بالمنطقة ـ تم تجنيد ثلاث مائة وخمسون ألف مغربي في مسيرة خضراء على الحدود الصحراوية. وما بين مجموع هذه الاوضاع بامكانية التصادم بين اسبانيا والمغرب، بما في ذلك التصادم العسكرى.

اتفاقية مدريد والدور الامريكي في تسوية العلاقة الاسبانية المغربية

الا أن الولايات المتحدة بادرت بالتدخل، فتم لقاء بالرباط يوم ٢٢ أكتوبر ما بين الملك الحسن واكتب الدولة الامريكي ألفريد أثيرتون كما زار مدريد نائب مدير المخابرات الامريكية الجنرال "والتيرى"، كما بادرت بالتمهيد والتحضير لما سمي باتفاقية مدريد .

ولقد وصف الملك حسين هذا الدور الذى لعبته الولايات المتحدة، في تصريح لاحد مراسلي التلفزة الامريكية، يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٥، قائلا: "ان الولايات المتحدة تلعب دور الصديق المشترك الذى يدفع بكل من المغرب واسبانيا الى الفاهم حول حل سلمي عن طريق الحوار". كما صرح السيد فيليوليس أمام الكونغريس الامريكي: "لقد دفعنا بالاطراف المعنية نحو الحل، ونعتبر اتفاقية مدريد خطوة جدية في هذا الإتجاه"... أما بالنسبة لكاتب الدولة السيد كيسنغر فانه كان يعتبر اتفاقية مدريد من شأنها أن تعزز الاستقرار الداخلي في كل من اسبانيا والمغرب .

فالنظام المغربي قد تعرض لهزات خطيرة في بداية السبعينات على اثر الاضرابات العمالية والطلابية المتنامية، كما تعرض الملك نفسه الى محاولة الاغتيال على اثر انقلابي ١٩٧١ و ١٩٧٢. وباستغلاله للشعور الوطني للشعب المغربي، ولعبه ورقة الوطنية يمهارة، فانه تمكن من الحصول على سند شعبي في محاولة لاسترجاع "جزء من التراب المغربي المغتصب". كما أن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية قد أعلنا تأييدهما لهذا الاسترجاع الذى اعتبر انتصارا كبيرا ضد الاستعمار.

ولم يفت الولايات المتحدة التعبير عن ارتياحها لهذا السند الجديد الذى حصلت عليه الملكية المغربية، التي نالت منذ استقلالها أكبر مساعدة قدمتها الولايات المتحدة لبلد افريقي ـ باستثناء اثيوبيا ـ تبلغ قيمتها المليار دولار. ونظام الحسن الثاني كان ولا يزال يعتبر صديقا للغرب. فلقد أيد الديبلوماسية التي قادها كيسنغر بالشرق العربي، كما سمح باستمرار القواعد الامريكية بالمغرب والتي لم تغلق سنة ١٩٧٨ الا لان الولاياة المتحدة لم تعد بحاجة اليها .

أما انعكاسات الثورة البرتغالية بتهديد واضعاف المصالح الاستراتيجية الامريكية بالمنطقة، ووفاة الجنرال فرانكو، وبالتالي اقبال اسبانيا على التحول نحو النظام البورجوازى الليبيرالي ،فلقد أصبحت الولايات المتحدة ترى أن أكبر خطأ يمكن للحكومة الاسبانية أن ترتكبه هو الدخول في مواجهة مع المغرب .

وهذا ما تؤكده مذكرة قدمها السيد "لويس وار" لجامعة الطيران العسكرى الامريكي والتي جاء فيها على الخصوص:

" لقد دفعنا بالاطراف المعنية الى التفاهم ، ونعتبر اتفاقية مدريد خطوة جدية في هذا الاتجاه "ـ السيد فيليوليمي ، عضو الكونغريس الامريكي .

قضية الصحراء المغربية

"في الوقت الذى يعاني فيه البرتغال من الاضطرابات الداخلية، وتقبل اسبانيا نفسها على تغيير نظامها السياسي وتخضع لضغوط مستمرة من قوى اليسار المتأثرة بالتجربة البرتغالية، فان أى عدم استقرار سياسي في الصحراء يمكنه أن يؤدى الى عدم الاستقرار في شبه الجزيرة الايبيرية كلها". وأكدت المذكة أن عدم الاستقرار في اسبانيا سيكون له انعكاسات خطيرة على المصالح الاستراتيجية الامريكية حيث جاء فيها: "ان أوضاع الاستعمار (بافريقيا) قد خلفت عواقب خطيرة على البرتغال. ويمكنها أن تخلف نفس العواقب على اسبانيا، مما سيجعل الولايات المتحدة في وضعية سيئة تجاه حلفائها في شبه الجزيرة الايبيرية. لقد أصبحت خطوط تموينا لاسرائيل عبر قواعدنا بجزر الاسور فعلا مهددة. فخلال حرب أكتوبر ١٩٧٤، كان البرتغال هو البلد الوحيد ضمن الحلف الاطلسي الذى سمح لطائراتنا بالهبوط في احدى قواعده من أجل تزويدها بالوقود. وفي حالة ما اذا تم استيلام السلطة من طرف الشيوعيين أو كتلة يسيطرون عليها، فان البرتغال سينسحب من الحلف الاطلسي. وهذا يوضح أننا لا يمكننا أن نعتمد الا على اسبانيا وحدها". وختم الكاتب تحليله قائلا: "ان الولايات المتحدة، بعدم ادانتها لاعدام الارهابيين البسك، وبتجاهلها حق تقرير مصير الصحراويين، قد عبرت عن روح التسامح مع النظاميين الاكثر رجعية، مقابل خدمة سياسية شاملة".

دعم النظام المغربي وتحضير البديل

في ظل هذه الشروط العامة، أصبحت المهمة الاساسية الملقاة على عاتق الملك خوان كارلوس، بالنسبة للولايات المتحدة، هي السهر على انجاح المرور الى مرحلة ما بعد الفرانكاوية وخاصة اجتناب أى نزاع مجهول المصير مع المغرب.

ولم تكتف الولايات المتحدة بتأييد اتفاقية مدريد، بل لقد عملت على تزويد المغرب بالوسائل العسكرية الضرورية لمواجهة حرب الصحراء. وهكذا وضع برنامج ضخم لاعادة تسليح الجيش المغربي بشكل عصرى، بحيث انتقلت اتفاقات بيع الاسلحة الامريكية للمغرب ما بين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ من ٨،٢ الى ٢٩٦ مليون دولار، تم منها البيع الفعلي بما قيمته ٨٩،١ مليون دولار ما بين ٧٥ و ٧٨. كما أن القروض المالية قد ارتفعت ما بين ٧٤ و ٧٩، من ٣ الى ٤٥ مليون دولار...

والولايات المتحدة تدرك جيدا ضرورة وأهمية هذا الدعم المكثف للنظام المغربي الذى تخشى عليه، اذا لم يتمكن من تمتين أوضاعه في الصحراء. خاصة وأن الجيش المغربي يعاني من جراء نتائج حرب الصحراء، اضافة الى آثار محاولتي قلب النظام. وتؤكد الارقام الرسمية ضخامة الخسارات في صفوف الجيش المغربي خلال المعارك التي دارت في الشهور الاخيرة، مثل مقتل ٨٢ جندى ببير أنزران و١٢١ بسمارة و٤١ بمحبس. وتمكن "البوليزاريو" ولاول مرة في سنة ١٩٧٩ من احتلال بعض المدن مؤقتا، كما تم بالنسبة لطانطان...

مبيعات الاسلحة الامريكية للمغرب

السنة	المبالغ الاجمالية بملايين الدولارات
1974	15,7
1975	314,3
1976	154,6
1977	121,4
1978	152,3
1979 (تقديرات)	101,3
1980 (توقعات)	151,3

اضافة الى ذلك، فان المصاريف العسكرية تستهلك نسبة متزايدة من الميزانية المغربية مما يعمق الازمة الاقتصادية الناتجة عن انخفاض سعر الفسفاط الذى يشكل المادة المصدرة الاساسية، اضافة الى التضخم المالي وجملة من العوامل الاخرى التي أدت الى انخفاض المستوى المعاشي للجماهير، الشيء الذى ولد موجة الاضرابات التي عرفتها سنة ١٩٧٩. أما ارتشاء النخبة السائدة، والتمايزات الاجتماعية الصارخة، واسراع الملك الحسن الثاني باستقبال الشاه، فانها كلها عوامل أدت الى تنامي السخط ضد النظام.

وهكذا، فان المخابرات المركزية الامريكية (C.I.A.) التي كانت عاجزة عن ادراك حجم المعارضة ضد نظام الشاه، قد بادرت بتنبيه الرئيس كارتر على أن استمرارية الملك الحسن فوق العرش قد أصبحت أيامها معدودة، كما أخبر بذلك النظارة الامريكيين من خلال مقتطف من تقرير المخابرات الذى يشير الى ذلك.

والولايات المتحدة لها علاقات وطيدة مع بعض ضباط الجيش الذين من المحتمل أن يتولوا مقاليد السلطة بعد الملك، وذلك عن طريق "مكتب الاتصال المغربي الامريكي" المكون من مجموعة من التقنيين العسكريين المكلفين في عين المكان بمراقبة شحنات الاسلحة الامريكية وتقدير الحاجيات المغربية. ويكشف تقرير حكومي عن الدور المنوط بهذا المكتب عندما يقول: "ان سفيرنا (بالرباط) قد أبدى رأيه في تسيير برنامج المساعدة بشأن الامن الداخلي للبلاد وأنه قد أبرم علاقات جيدة مع السلطات العسكرية المغربية. وهذه العلاقات قد تكون ثمينة جدا، لانها تشكل المنفذ الاساسي للولايات المتحدة داخل الجيش المغربي الذى سيكون المصدر الاساسي للسلطة، في حالة اذا ما حدث شيء للملك"...

ان المصلحة الاولى للولايات المتحدة هي حماية عرش الحسن. لكن اذا ما تعذر ذلك فانها ستسعى الى نقل السلطة الى أيدى قوات محافظة تؤيد استمرار التحالف مع الغرب، وذلك لان لديها على الاقل ثلاث عوامل رئيسية تجعلها تخشى أى تغيير جذرى بالبلاد. فهي أولا تقدر دور الملك في الانفراج ما بين اسرائيل ومصر. انه حافظ على العلاقات الديبلوماسية مع الولايات المتحدة خلال حرب أكتوبر، ثم ساعد على ربط الاتصال فيما بين مناحيم بغين وأنور السادات أما قرار الانضمام الى الدول العربية الاخرى التي قررت قطع علاقاتها الديبلوماسية مع مصر، فانه يدخل في اطار تأمين دعم قضية مغربية الصحراء من طرف بعض الدول العربية وخاصة العربية السعودية. وهذا لم يكن من شأنه أن يزعج الولايات المتحدة.

أما العامل الثاني فيكمن في استعداد النظام المغربي لاداء دور الدركي المحلي في افريقيا. ولقد بعث الملك مرتين، في سنة ١٩٧٧ و ١٩٧٨، ١٥٠٠ جندى الى شابا للمساعدة على القضاء على التمرد المسلح

" ارتشاء النخبة السائدة، والتمايزات الاجتماعية الصارخة، واسراع الملك الحسن الثاني باستقبال الشاه... كلها عوامل أدت الى تنامي السخط ضد النظام..."